إشعاعات المضامين التربوية في مرآة وصايا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

الباحثه رؤيا كمالي
royaa.kamalii١٣٧٠@Gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور
سميه حسين حسنعليان
shassanalian@yahoo.com

جمهورية إيران الإسلاميه
جامعة إصفهان – كلية اللغات الأجنبيه

الملخص:

إنّ الوصية من أهمّ الفنون الأدبية والأساليب التعليمية، وهي مكتنزة بجوهر الحكمة والتجربة وبما أنّ التربية خطّة أساسية لتكوين بناء شخصية الإنسان والمجتمع الصحيح، تحوز حيّزاً كبيراً من مضامين الوصايا؛ فلا يجرّد التراث الديني كالسنة النبوية وتراث الأئمة من التعاليم التربوية، بل يعدّ ساحة واسعة لانعكاس هذه المضامين، ولا تستثنى منها وصايا الإمام جعفر الصادق عليه السلام.من هنا قد انطلق هذا البحث لدراسة المضامين التربوية في وصايا الإمام الصادق عليه السلام مصنّفاً ساحتها في ثلاثة أقسام أساسية بتقديم نماذج منها في كتاب «وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)لـ«سيد هاشم رسولي محلاتي، معتمداً على المنهج الوصفي ـ التحليلي.

ظهر من خلال دراستنا أنّ وصايا الإمام الصادق عليه السلام الصادرة عن ينبوع القرآن والسنة النبوية، مشحونةٌ بتعاليمٍ تربويةٍ جعلها الإمام منهجاً لإعادة الإنسان الى أصالته. كما أنّه كالمربي العظيم استخدم الأساليب المتنوعة لتعليم تلك المضامين وكالعالم البليغ لوّن وصاياه بالمحسّنات الأدبية لالتذاذ المخاطب وزيادة التأثير.

الكلمات الرئيسية: الإمام الصادق(عليه السلام)، الوصية، التربية، الإيمان، الأخلاق.

١- التمهيد

من الحقائق الثابتة أنّ بناء شخصية البشر وتصرفاته قائمة على عمودَي التوارث والبيئة. الوراثة تشمل الخصائص الفطرية لدى الإنسان والبيئة تتكوّن من الأسرة،

والأصدقاء، والمربّيين ولها دور أهمّ في تكوين شخصية الإنسان وسلوكه خلال التربية. «الربّ في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً الى حدّ التمام [١]، وجاء في لسان العرب «ربَّه رَبّاً: ملكه؛ وربَبتُ القومَ: سستهم أي كنت فوقهم»[٢]. التربية «عملية بناء وإصلاح وتوجيه، وإعداد عملي للإنسان»[٣]، وعلى التعريف الأشمل التربية هي «عملية تشكيل الشخصية السويَّة المتكاملة في جميع جوانبها روحياً، وعقلياً، ووجدانياً، وخلقياً، واجتماعياً، وجسمياً والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها»[٤].

يتبيّن من هذه التعريفات أنّ التربية خطّةٌ أصليةٌ تبني الشخصية المتكاملة حافلةً بارتقاء فكر الإنسان وتنمية روحه وتطوّره الى الإنسان الكامل. فلذا كلّ إنسانٍ يحتاج الى منهجٍ تربوي من الطفولة حتى أعلى مراحل حياته لنيل الكمال والسعادة. بما أنّ المناهج التربوية تختلف من مجتمع الى آخر أو من عصر الى آخر، السؤال الذي يخطر ببالنا في هذا المجال هو: لماذا نشاهد انحطاطاتٍ خلقيةً تفسد المجتمع أو اضطراباتٍ تشوّش حياة الفرد رغم تعدّد المناهج التربوية ونظرياتها القديمة والحديثة ؟ أتلك المناهج العديدة تغطّي جميع أبعاد التربية كاملها أم تركز على جوانب محدّدة منها؟ نعلم أنّ إهمال أحد أبعاد نظام التربية يسبّب الانحرافات السلوكية وانهيار المجتمع ويترك آثاراً سلبيةً خطيرةً على الأجيال الآتية. فعلى هذا الاعتبار يحكم العقل باختيار الطريق الأحسن وجعل المنهج الأعلى نصب العين فمن الضروري على الإنسان أن يأخذ هذا المنهج من مربٍّ حكيمٍ. إنّ الله تبارك وتعالى خالق الإنسان وعالمٌ بأموره فهو الربّ الذي قد قدّم له خطّةً كاملةً لسعادته وعبّر عن هذه الخطّة بـ«المثل الأعلى»:﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[٥]، كما نرى عبّر الله عزّ وجلّ عمّا يضعه البشر الذي لم يؤمن به، ويحسبه المنهج الأحسن، بلفظ «مثل السوء». «المثل الأعلى الذي تطرحه التربية الإسلامية هو من المستوى الأعلى لأنّ هدفه الارتقاء بالنوع الإنساني حتى تصبح سماته المميزة هي الإصلاح في الأرض وعدم الإفساد، واحترام حرمات

الإنسان وعدم سفك الدماء؛ وتتسع دائرته حتى تشمل الإنسانية كلّها»[٦]. التربية الإسلامية تدور حول محور الإسلام وبما أنّه الدين الأكمل فتكون التربية الإسلامية أكمل المناهج إذ تهدف الى تهذيب سلوك الإنسان وارتقاء مستوى حياته وتقريبه من الله وحينما لا تكون محور اهتمام المناهج التربوية الأخرى إلّا التركيز على حياة الدنيا دون عنايةٍ بالمقاصد العليا، نرى التربية الإسلامية تعطي الحياة معناها وتبيّن لها غايةً عاليةً.

هكذا فللتربية الإسلامية مصادرٌ، القرآن هو المصدر الأول الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله وهو المنهج الأصيل؛ والمصدر الثاني السنة النبوية الشريفة إذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله القدوة الحسنة والمربيّ الشفيق للإنسان وأكد الله على ذلك في هذه الآية الكريمة بصراحة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٧]، السنة النبوية تطبيق عملي على التعاليم القرآنية؛ وأمّا المصدر الآخر يتبيّن من خلال حديث النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: «أنا وعلي أبوا هذه الأمّة»[٨]. في ضوء هذا الحديث الشريف قد انتقل مهمّة التعليم والتربية بعد النبي صلى الله عليه وآله الى الأئمة عليهم السلام وهم آباء الأمّة الإسلامية لدورهم الفعّال في تربية البشر وتعليمه، وبما أنّ تعاليمهم تفيض من ينبوع القرآن فمن الضروري أن يقتدي الإنسان بتراثهم ويجعله مرآةً لسلوكه ويستفيد منه في حياته لكي يبلغ السعادة. «كان أهل البيت عليهم السلام قدوة في كلّ شيءٍ وكانوا القمّة في جميع الفضائل والمحاسن والمكارم، ولهذا استطاعوا تربية عدد كبير من المسلمين واعدّوهم ليكونوا مربّين بدورهم»[٩]، فتراثهم المنبث من الإسلام لا ينفك عن القرآن والسنة النبوية المطهرة وعلينا حبّهم والمحافظة على تراثهم كما قال الإمام الصادق عليه السلام في وصيته حول حبّ أهل البيت: «إنَّ حُبَّنا ـ أهلَ البَيت ـ يُنَزِّلُهُ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن خَزائِنِ تَحتَ العَرشِ كخَزائِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلا يُنَزِّلُهُ إلّا بِقَدَرٍ وَلا يُعطيهِ إلّا خَيرَ الخَلقِ وَإنَّ لَهُ غَمامَةً كغَمامَةِ القَطرِ، فَإذا أرادَ اللهُ أن يَخُصَّ بِهِ مَن أحَبَّ مِن خَلقِه أذِنَ لتلك الغَمامَةِ فَتَهطَّلَت كما تَهَطَّلَتِ السَّحابُ. فَتُصيبُ الجَنينَ في بَطنِ أُمِّه»[١٠]. من أهمّ هذا التراث وصايا الإمام جعفر الصادق عليه السلام التي تسهم سهماً كبيراً في تربية الأمّة وتعليمها. فإنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يؤدّي دوراً فعّالاً في التربية الإسلامية ومحو ظلمة الجهل والانحرافات الفكرية وصيانة الإسلام في الفترة المشحونة بالاضطرابات السياسية والثقافات الأجنبية

وتعدّد الآراء. قد جعل الإمام ضعف الحكومة فرصةً لبثّ تعاليم الرسول ولتربية تلاميذ عديدٍ تحت لواء آرائه القائمة على أحكم البراهين وأعمق المعارف، فلم ينفصل مذهبه الفكري والتعليمي عن الإسلام والقرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الآخرين. كان الإمام الصادق بحراً عظيماً يستفيد منه العلماء والتلاميذ في شتى ميادين المعرفة ويغتنمون الفرصة لقبول الوصايا منه.

ومن هذا المنطلق يستهدف هذا البحث الى دراسة المضامين التربوية في وصايا الإمام الصادق عليه السلام وتصنيفها بتقديم قطع مختارة من وصاياه في كتاب «وصايا الرسول والأئمة» الذي ألّفه «سيّد هاشم رسولي محلاتي»، المشتمل على الوصايا التربوية والأخلاقية والاجتماعية، والوقوف عليها معتمداً على المنهج الوصفي ـ التحليلي لمعرفة هذه المضامين، ومحسّناتها الأدبية واللفظية. الهدف من هذه الدراسة كشف ومعرفة الفكر التربوي الحاكم على وصايا الإمام الصادق عليه السلام في النطاق العلمي، ومعرفة **الأساليب التربوية المستخدمة فيها لتكون منهجاً عالياً للمربيين**.

الأسئلة المطروحة في هذا المجال هي:

١. ما هي المضامين التربوية في وصايا الإمام الصادق عليه السلام؟
٢. على أيّ أسلوب اعتمد الإمام الصادق عليه السلام لانتقال هذه المضامين؟
٣. ما هي المحسّنات التي تمنح وصايا الإمام الصادق عليه السلام روعة وجمالاً؟

وبالنسبة الى خلفية البحث فيجدر بنا أن نذكر أنّ هناك بعض الدراسات حول الأفكار والمضامين التربوية عند الأئمة ولا تخلو الإشارة الى بعضها هنا من فائده :

- ديالمه، حسناء. (٢٠١٠م). الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام). بيروت: المكتبة العصرية.
- الموسوي، عباس علي. (١٩٨٨م). المنهج الإصلاحي عند الإمام الصادق (عليه السلام). بيروت: دار المرتضى.

وكذلك هناك بحوث ودراسات حول وصايا الأئمة منها:

- ناصر عبد الله دوش؛ هاتف كريم، كوثر. (٢٠١٤م). القيم الخلقية في وصايا الإمام علي (عليه السلام). مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية. جامعة الكوفة. العدد ١٤. السنة الثامنة. ٢١٣- ٢٣٨.

أمّا حول المضامين التربوية في وصايا الإمام الصادق عليه السلام فلم نعثر على بحث.

٢- الوصية، معناها، تاريخها ومكانتها

للوصايا مكانة سامية في الأدب والتراث الديني لحظها الكبير في إيقاظ الأمّة ورقي حياة الفرد والمجتمع ولآثارها العظيمة على الأجيال الآتية. الوصية لغةً: « الواو والصاد والحرف المعتلّ: أصلٌ يدلُّ على وَصلِ شيءٍ بشيء. ووَصَيْتُ الشَّيءَ: وصَلْتُه. ويقال: وطِئْنا أرضاً واصيةً، أي إنَّ نَبتَها متَّصلٌ قد امتلأتْ منه. ووَصَيْتُ اللّيلَةَ باليوم: وصَلْتُها، وذلك في عملٍ تَعمَلُه. والوصيَّة من هذا القياس، كأنّه كلامٌ يُوصَى أي يُوصَل»[١١].كما قال ابن منظور في «وصية»: «أَوْصى الرجلَ ووَصَّاه: عَهِدَ إِليه؛ وتَواصي القومُ أَي أَوْصى بعضهم بعضاً[١٢]». ويتبين من هذه التعريفات أنّ الوصية في اللغة بمعنى العهد الذي ينبغي الوفاء به وإيصال التجربة. أمّا قيل في مصطلح الوصية: «الوصية وصيتان: وصية الأحياء للأحياء، وهي الأدب، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرة بصالح عمل. ووصية الأموات للأحياء عند الموت، بحق يجب عليهم أداءه، ودين يجب عليهم قضاءه».[١٣]

كان يحسّ الإنسان الشعور بالحاجة الى الوصايا في جميع شؤون حياته منذ القدم فنرى شيوع التوصيات في العصر الجاهلي، منها وصايا أكثم بن صيفي التميمي، أو وصايا زهير بن أبي سلمى في مجال الشعر. أكثر وصايا العرب قبل الإسلام كان يشتمل على وصية الآباء لأبنائهم، ورؤساء القبائل لأبناء قومهم، وكذلك الشعراء والفضلاء. ومن الواضح أنّها كانت تحتوي على ما يتصل بالبيئة الجاهلية وشؤون ذلك العصر وتخلو عن المعنويات فـ«غرضها الأساس إنساني صرف، وهو بالتالي خلاصة تجارب إنسان عرك الحياة وعركته، وخاض غمارها وجلى غبارها»[١٤]. ولكنها أصبحت ببزوغ فجر الإسلام ذات صبغة إسلامية، متأثّرة بالقرآن بنيةً ومضموناً واتُخِذت كأحد الأساليب الهامّة في خدمة التربية الإسلامية. «تطور مفهوم الوصية في العصر الإسلامي تطوّراً ملحوظاً حيث اتخذ اتجاهات وأبعاداً ومدلولات لم نجد لها ما يشبهها في العصر الذي سبقه»[١٥].

على رأس الوصايا الإسلامية، الوصايا القرآنية العديدة التي أوصى الله تعالى البشر فيها: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾[١٦]، ومثل قوله تعالى في الإحسان بالوالدين ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ﴾[١٧]، وفي قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[١٨].

لم تنحصر الوصايا الدينية في الوصايا القرآنية بل امتدت الى وصايا النبي صلى الله عليه وآله التي لا تنفصل عن روح القرآن؛ منها وصيته التي نقلت عن أبي هريرة: «لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا»[١٩]، هكذا وتمتدّ ساحتها الى وصايا الأئمة عليهم السلام الذين من خصالهم الوصية ومنهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي استخدم الوصية كوسيلةٍ للتعليم والتربية في مدرسته وتنفيذ منهج الله في المجتمع. كان يحرص المسلمون والعلماء على قبول وصايا الإمام عليه السلام أشدّ حرصاً لزيادة معرفتهم وتضمين سعادتهم. من أهمّ وصايا الإمام عليه السلام وصيته الى ابنه الإمام الكاظم عليه السلام، ثمّ وصيته الى ابن جندب، ومحمّد بن نعمان، وسفيان الثوري التي سندرس بعض مضامينها في هذا البحث.

٣- المضامين التربوية في وصايا الإمام الصادق (ع)

من أهمّ سمات التربية الإسلامية الشمولية والتكامل فلا تقتصر عنايتها على بعدٍ واحدٍ من أبعاد الإنسان بل تهتم بكلّ واحدة منها. «إنّها لا تضع كلّ اهتمامها في الناحية الروحية أو الخلقية التي يعني بها المتصوفة والأخلاقيون. ولا تقصر كلّ جهودها على الناحية الفكرية التي يهتمّ بها الفلاسفة والعقليون. ولا تجعل أكبر همّها في التدريب والجندية التي يحرص عليها العسكريون. ولا تحصر نشاطه في التربية الاجتماعية كما يصنع المصلحون الاجتماعيون»[٢٠]. للتربية اتجاهات متعدّدة تندرج في كثير من كتب التربية الإسلامية تحت هذه الجوانب: التربية الجسمية والروحية، والخلقية، والوجدانية، والعقلية، والاقتصادية، والفنية إلخ. كذلك وصايا الإمام الصادق □ التي من أبرز سماتها الشمولية ومراعاتها لكلّ الخصائص التربوية والتي هي ذات نطاقٍ وسيعٍ نلقى

الضوء على مختارات منها فضلاً عن تحلّيها بالمحسّنات اللفظية والمعنوية. لعلّه من المناسب أن نجعل تلك المضامين في ثلاثة أقسام: التربية العقدية والتعبدّية، التربية العقلية والعلمية، والتربية الخلقية.

٣-١- التربية العقدية والتعبدية

العقيدة لغةً من «العقد: نقيض الحلّ، نقول: عقد الحبل أي شدّه وعقد البيع إذا أمشاه ووثقه».[٢١] فهي بمعنى الشدّ أي كلُّ ما يشدّ في ذهن الإنسان يصبح عقيدته ومصدراً لأفعاله وسلوكه ومركزاً لهدايته. قال الله تعالى في حقيقة العقيدة: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾[٢٢]، هكذا فإن تكن عقيدة الفرد صحيحةً تصدر عنها الأعمال الصحيحة فيصعد نحو السعادة وإن لم تكن صحيحةً يسيطر الهوى على كل شؤون حياته ويعد له الخسران. التربية العقدية خير منهجٍ لتوجيه العقيدة، والعقيدة في الإسلام تساوي الإيمان بالله ثمّ الإيمان بالملائكة، والقرآن، والأنبياء، والآخرة ممزوجاً بحبّ أهل البيت عليهم السلام ومتابعتهم. فهي الأساس المتين في بناء التربية كما يعدّ الإيمان المحور الأساسي في الإسلام. «أخذ الدين الإسلامي، يحارب ويناضل، حتى تمكنت العقيدة الإسلامية، أن تذيب تلك النقائص البشرية، الكامنة في النفوس»[٢٣]. كان الإمام الصادق عليه السلام يعتنى بتربية العقيدة في مدرسته عنايةً فائقةً لئلا يتمّ فيها سائر الاتجاهات التربوية إلّا بتحقّق الإيمان وكثيراً ما يعتمد في المضامين التربوية في مجال العقيدة على الاقتباس من القرآن الكريم برهاناً على كلامه.

٣-١-١- الإيمان

نظراً لأهمية الإيمان في توجيه الإنسان نحو الغاية الحقيقية، كان يهتّم الإمام عليه السلام بها اهتماماً يجعلها من أهمّ مبادئ مدرسته التربوية. يتجلّي هذا الاهتمام في وصيته لابن جندب المستوحية من الآية ٨٢ من سورة طه إذ قال: «يا ابن جُندَب أحبِب في الله واستَمسِك بِالعُروَةِ الوُثقى وَاعتَصِم بِالهُدى يُقبَل عَمَلُك فَإنَّ الله يَقولُ: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾. وَلا الإيمانَ إلّا بِعَمَلٍ. وَلا عَمَلَ إلّا بِيَقينٍ. وَلا يَقينَ إلّا بِالخُشوعِ وَمِلاكها كلُّها الهُدى، فَمَن اهتَدى يُقبَلُ عَمَلُه وَصَعِدَ الى المَلَكوتِ مُتَقَبَّلاً»[٢٤]. حفلت هذه الوصية بالتزام الحبّ في الله والاستمساك بدينه والهدى وعدّتها مدلول

الإيمان. كما عدّت الإيمان الحلقة الأولى في تبيين سلسلة الهدى. تلمع في كلام الإمام عليه السلام قطعيةٌ قائمةٌ على أسلوب الحصر بجانب كثرة استخدام حروف الاستعلاء. وجدير بالعناية أنّ توالي الجملات القصيرة في أسلوب الحصر تمنح الوصية الموسيقى والتوكيد كأنّها تكرّر أهميّة الإيمان في آذان المخاطب فضلاً عن السجع الموجز المطرف في القطعة الأولى من الوصية بين «الوثقى» و«الهدى».

وجه آخر من اهتمام الإمام عليه السلام بالإيمان يتجلى في وصيته لابن النعمان إذ أشار الى أقسام الإيمان وانحصر تعريف المؤمن في قبوله الإيمان بالله، ورسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام وقبول سنّتهم. ووضّح كلّ هذه السنن وأشار في تفصيل سنة الله الى الآية ٢٦ من سورة الجن برهاناً على كلامه: «يا ابنَ النُّعمانِ لا يَكونُ العَبدُ مُؤمناً حتى يَكونَ فيه ثَلاثُ سُنَنٍ: سُنَّةٌ مِنَ الله، وَسُنَّةٌ مِن رَسولِه، وَسُنَّةٌ مِنَ الإمامِ، فَأمّا السُنَّةُ مِنَ الله جَلَّ وَعَزَّ فَهُوَ أن يَكونَ كتوماً لِلأسرارِ يَقولُ الله جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ وَأمّا التي مِن رَسول الله فَهُوَ أن يُداريَ النّاسَ وَيُعاملَهُم بِالأخلاقِ الحَنيفيَّةِ، وَأمّا التي مِنَ الإمامِ فَالصَبرُ في البَأساءِ وَالضَّراءِ حتى يَأتيَهُ اللهُ بِالفَرَجِ»[٢٥]، اعتمد الإمام عليه السلام في تعليمه على أسلوب التقسيم لجذب التفات المخاطب بتقديم هيئة كلية من صفات المؤمن في إطار العدد ثمّ بدأ بتقسيمها وتعريف كل منها.

يبعث الإيمان عدّة سلوك في الفرد يصونه من آفات السعادة فأشار الإمام الصادق عليه السلام الى بعضها في وصاياه إشارة عابرة كالخوف من الله: «يا ابنَ جُندَبٍ إنّما المؤمنون الّذينَ يَخافونَ اللهَ وَيُشفِقونَ أن يُسلَبوا ما اعطوا مِنَ الهُدى فَإذا ذَكروا اللهَ وَنَعماءَهُ وَجِلوا وَأشفقوا. وَإذا تُلِيَت عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيماناً ممّا أظهَرَهُ مِن نَفاذِ قُدرَتِه. وَعلى رَبِّهِم يَتَوَكلونَ»[٢٦]، وكذلك هنا استمدّ من الآية الشريفة في وصف النموذج لصورة المؤمن: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢٧]. من السمات الأخرى للإيمان الإخلاص في العمل الذي يجعل أعمال الإنسان موجّهاً الى رضى الله ويرفض العمل لأجل الخلق: «اجعَلوا أمرَكم هذا لِلّهِ وَلا تَجعَلوهُ لِلنّاسِ فَإنَّهُ ما كانَ لِلّهِ فَهُوَ لَهُ وَما كانَ لِلنّاسِ فَلا يَصعَدُ الى الله»[٢٨]. ومن سماته الأخرى عدم الاهتمام بالدنيا: «آه آه على قُلوبٍ حُشيَت نوراً وَإنَّما

كانت الدُّنيا عندَهُم بِمَنزِلَة الشُّجاع الأرقَم وَالعَدُوّ الأعجَم، أنَسوا بالله وَاستَوحَشوا ممّا بِهِ استأنَسَ المُترفونَ، أولئِك أوليائي حَقّاً وَبِهِم تُكشَفُ كلُّ فِتنَةٍ وتُرفَعُ كلُّ بَلِيَّةٍ»[٢٩]. لقد رسم الإمام الصادق عليه السلام صورة الدنيا عند المؤمنين خلال تشبيهها بحيّةٍ خطيرةٍ وعدوٍّ خصيمٍ وجعل من مواصفاتهم الأنس بالله والخوف من الاغترار بالدنيا والتعلّق بها وحسبهم أوليائه. واضح أنّ الإمام عليه السلام بدأ كلامه بالتأوّه وتابعه بالجمل المملوءة من الحروف المدّية فذلك يدلّ على الرقّة والحسرة ويساعد على حسن انتقال العواطف بجانب الإيقاع المتجلّي في السجع المتوازي بين «الأرقم» و«الأعجم»، والسجع المطرف بين «فتنة» و«بَلية».

وأمّا العبادة لغةً: «التذلّل، والخضوع، والانقياد، والطاعة»[٣٠]. «العبادة بمعنى العام اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال»[٣١]، ولكنّ العبادة بمعناها الخاص في الدين الإسلامي تطلق على الصلاة، والدعاء وأداء كلّ الشعائر الدينية التي توصل الإنسان بالله. تبرز سعة ساحة العبادة في كثرة الآيات الواردة حولها في القرآن. إنّما العبادة تنشأ من العقيدة فلا يُرى فاصلٌ بين التربية العقدية والتربية التعبدية إذ هي تجعل الإنسان يصل بخالقه وتغذّي روحه خلال أداء الفرائض والآداب الشرعية وتطهّرها لأنّ الروح في نظر الإسلام «مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه إنّها القاعدة التي يستند إليها الكيان كلّه ويترابط عن طريقها. إنّها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان والموجّه الى النور»[٣٢]، فالعناية بها على رأس التعاليم الإسلامية، وتربيتها تكون بعقد الصلة بينها وبين الله ولم تكن هذه الصلة إلّا العبادة. إذن العبادة من الأركان الأساسية في المدرسة التربوية للإمام الصادق عليه السلام إذ كان يعبّر عنها بأفضل الأعمال في إحدى وصاياه: «فَإنَّ أفضَلَ العَمَلِ العِبادَةُ وَالتَّواضُعُ»[٣٣]، ويركز عليها كوحدةٍ شاملةٍ تحيط بكلّ جوانب العبادة التي يمكن تصنيفها تحت هذه الأقسام:

٣-١-٢- الصلاة

الحاجة الى عبادة الله ذاتيةٌ فُطر الإنسان عليها فكان «أولّ ما فُرض بعد تصديق نبيه عبادات الأبدان، وقد قدمها على ما يتعلّق بالأموال، لأنّ النفوس على الأموال أشحّ، وبما يتعلق بالأبدان أسمح، وذلك الصلاة والصيام، فقدّم الصلاة على الصيام لأنّ الصلاة أسهل فعلاً، وأيسر عملاً، وجعلها مشتملة على خضوع له، وابتهال إليه،

فالخضوع له رهبة منه، والابتهال إليه رغبة فيه»[٣٤]. فالصلاة أفضل العبادات التي تقضي هذه الحاجة الفطرية، وخير طريقٍ لبلوغ غاية الحياة وهي قرب الإنسان الى الله عزّ وجلّ. السكينة والتزكية تفيضان من ينبوع الصلاة كما أنّ الروح تأخذ منها قدراتها الإيجابية والشعور بالتنفير من الذنوب. الهدف من الصلاة ذكر الله، كما قال الله تعالى: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)[٣٥].

كذلك للصلاة، كأعلى صور العبادة، مكانة سامية في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام واهتم بها في وصاياه كوصيته لابن جندب التي ذكر فيها بلزوم الصلاة بكلامٍ موزونٍ قاطع. بدأ الإمام عليه السلام كلامه بالتحذير دون المقدّمة وتابعه بإقامة البرهان مقتبساً من الآية ٧٧ آل عمران: «وَيلٌ للساهينَ عَنِ الصلَوات، النّائمينَ في الخَلَوات، المُستَهزئينَ بالله وآياته في الفَترات «أُولَئكَ ـ الّذينَ ـ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ»[٣٦]، كما نرى يحذر الإمام عليه السلام المسلمين من إهمال الصلاة لا سيّما صلاة الصبح بقوله «النائمين في الخلوات» ثمّ يتحدّث عن العقوبة بعد الترعيب باقتباس آيةٍ من القرآن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[٣٧]. جدير بالانتباه أنّ تأثير هذا البيان في النفس ووقعها في السمع يرجعان الى الموسيقى الداخلية الأخّاذة، إذ نرى السجع المرصّع بين فقرتي «الساهين عن الصلوات» و«النائمين في الخلوات»، والسجع المتوازي بين «الصلوات» و«الخلوات» و«الفترات».

ثمّ في قطعة أخرى تحدّث عن ملازمة الصلاة في أوّل وقتها الشرعي بإشارة الى صلاة الظهر ويقول إحدى خصائص الشيعة بجانب المحافظة على الصلاة، عدم شرب مسكر لأنّ الصلاة تصدر عن نهاية الوعي والمعرفة فلا ينبغي التزامها بما يزيل العقل: «لا يُمسَحونَ على الخُفَّينِ وَيُحافِظونَ على الزَّوالِ وَلا يَشرَبونَ مُسكراً»[٣٨].

٣-١-٣- تلاوة القرآن والدعاء

القرآن كتاب الحياة، وحبل الله المتين، كما هو نورٌ يضيء القلوب ويزكي النفوس؛ هو ينبوع الحقائق وبحر المعارف وخزانةٌ بثّ الله فيها القواعد التربوية التي تضمن نجاح البشر فهو المصدر الأعلى للتربية الإسلامية. إذن فقد دعا الإمام الصادق عليه السلام ابنه

الإمام الكاظم عليه السلام بتلاوة القرآن مع أداء الفرائض الأخرى كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخاطباً إيّاه: «يا بُنيَّ كن لِكتابِ الله تالياً، وَلِلإسلامِ فاشياً، وَبِالمَعروفِ آمِراً، وَعَنِ المُنكرِ ناهياً»[٣٩]، هذا التعبير القصير يجذب النفس لكثرة السجع، منه السجع المتوازي بين «تالياً» و«فاشياً» و«ناهياً» والسجع المتوازن بين «آمراً» و«فاشياً».

أمّا الدعاء حاجة فطرية لا تنحصر بالمؤمنين وهي من أهمّ الوسائل التي يلجأ بها الإنسان نحو غايته أي قربه الى الله. إنّ الإنسان دائماً يجد نفسه فقيراً وضعيفاً فيرفع أيديه بالدعاء. السبب الأساس للدعاء، فضلاً عن حاجات الإنسان المادية والمعنوية، دركه من قدرته المحدّدة في حلّ الأزمات. فإنّ الإسلام يسهم في توجيه هذه الحاجة ويجعلها في مسير صحيح معرّفاً للإنسان مبدأ الحياة وهو الربّ الحكيم. ينبغي الإشارة العابرة الى الآثار التربوية للدعاء فمنها تقوية صلة الإنسان بالله، والتفاته الى نعم الله وهذا ما يجعله شاكراً خاضعاً لله ويجعله أن يحس بفقره الى الله وغنائه من الناس فيمنحه العزّة والثقة بالنفس؛ ومن ناحية أخرى الطلب من الله يسبّب معرفته. هناك شروط للدعاء في الثقافة الإسلامية فضلاً عن قيمتها كما نرى أنّ الإمام الصادق عليه السلام في إحدى وصاياه وضع للدعاء وقتاً معيّناً وذلك لأنّه أحسن الأوقات لاستجابة الدعاء، وهذا الزمن قبل طلوع الشّمس وقبل الغروب يومياً فوصينا بالدعاء فيهما: «إذا كانَ قَبلَ طُلوعِ الشَّمسِ وَقَبلَ الغُروبِ فَعَلَيك بِالدُّعاءِ وَاجتَهِد وَلا تَمتَنِع مِن شَيءٍ تَطلُبُهُ مِن رَبِّك، وَلا تَقُل هذا ما لا أُعطاهُ، وَادعُ فَإنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يَشاءُ»[٤٠]، ثمّ حثّنا بطلب كلّما نتمنّي والتوكل.

٣-١-٤- رياضة النفس

انطلاق النفس من سجن الأهواء يزدهر قوات النفس فيساعدها على الصعود الى الدرجات العالية. قال الإمام الصادق عليه السلام في أحد وصاياه بيان توكيدي: «بِحَقٍّ أقولُ لَكم إنَّكم لا تُصيبونَ ما تُريدونَ إلّا بِتَركِ ما تَشتَهونَ»[٤١]. وذلك من البديهيات المقرّرة فكلّما ضبط الأهواء قربت النفس من السعادة. في رياضة النفس اختلاف جذري بين الإسلام وسائر المذاهب. إنّ الإسلام دين التعادل فلا يمنع الإنسان من حظّه في الماديات والحاجات الأصلية، بل يبادر بتعليمه الإدارة الصحيحة للنفس وتوجيهها نحو الغاية العلياء. ساحة هذا الأمر وسيعة فقد تناول الإمام الصادق عليه السلام في وصاياه جانبيها من الأكل والنوم ولقد حذّر شيعته من زيادة الأكل والحرص في الطعام ولم يكتف بالنهي

فحسب بل جاء ببرهان على ذلك وذكر عاقبته مزيّناً كلامه بحديث النبي ﷺ، ثمّ وضع شروطاً للأكل: «إيّاك أن تأكلَ مالاً لا تَشتَهيه فإنَّهُ يورِثُ الحماقَةَ والبَلَهَ، ولا تأكل إلّا عندَ الجوعِ، وإذا أكلتَ فكل حَلالاً وسَمِّ اللهَ، واذكر حَديثَ الرَّسولِ: ما مَلأ آدميٌّ وِعاءً شَرّاً من بَطنه، فإن كانَ ولا بُدَّ فثُلثٌ لطَعامه وثُلثٌ لشرابه وثُلثٌ لنَفَسه»[٤٢].

وفي وصية أخرى أمر الإمام عليه السلام ابن جندب بتقليل النوم في الليل وتقصير الكلام في النهار مزيّناً كلامه برواية حديث أمّ سليمان: «يا ابنَ جُندَب أقلِّ النَومَ باللَّيلِ، والكلامَ بالنَّهارِ. فَما في الجَسَدِ شَيءٌ أقَلُّ شُكراً منَ العَينِ واللِّسانِ، فَإنَّ أمَّ سُلَيمانَ قالَت لسُلَيمانَ: يا بُنَيَّ إيّاك والنَومِ؛ فَإنَّه يُفقِرُك يومَ يَحتاج النّاسُ الى أعمالِهِم»[٤٣]. جدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام اتّخذ أسلوب القصة لتعليمه في هذه الوصية لأنّ «في القصة سحرٌ يسحر النفوس! والإسلام يدرك الميل الفطري الى القصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب»[٤٤].

٣-٢- التربية العقلية والعلمية

إنّ العقل من أعلى المواهب التي أكرم الله بها الإنسان والمصدر الأساس لكلّ أفعاله وسلوكه، وهو ما يميّز البشر من سائر الأرضيات ويجعله قادراً على التمييز بين الخير والشرّ. فإنّ الواعي الذكي هو الذي يجعل موهبة العقل في خدمة كماله. احتلّ الاهتمام بالعقل ساحة كبيرة من الإسلام وتعاليمه إذ هو دين العقل والبرهان فيدعو البشر بقبوله عبر الرجوع الى العقل. «أُسّ الفضائل، وينبوع الآداب هو العقل، الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدّبّرة بأحكامه»[٤٥]، كما قال عزّ وجلّ في التوكيد على أهميّة التعقّل: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾[٤٦]. وكذلك عني الإمام الصادق عليه السلام بالعقل إذ أكد على لزوم الشكر على العقل والعلم في وصيته لابن جندب: «الواجبُ على مَن وَهَبَهُ اللهُ الهُدى وأكرَمَهُ بالإيمانِ وألهَمَهُ رُشدَهُ وركّبَ فيه عَقلاً يَتَعَرَّفُ به نِعَمَهُ وآتاهُ علماً وحُكماً يُدَبِّرُ به أمرَ دينه ودُنياه، أن يوجِبَ على نَفسه أن يَشكرَ اللهَ ولا يَكفُرَهُ وأن يَذكرَ اللهَ ولا يَنساه وأن يُطيعَ اللهَ ولا يَعصيه»[٤٧]. من الواضح أنّ عدم العناية بتربية العقل، كالجانب الأهمّ من نظام التربية الإسلامية، تضعف تناسق الجوانب الأخرى. فإذا ينمو

شجر العقل بالخطّة الصحيحة يثمر بأطيب الثمار منها الإيمان، والتحلي بمكارم الأخلاق، والحياة في الاقتصاد، وتحصيل العلم.

أمّا العلم نورٌ يضيء الطريق نحو السعادة وبما أنّ ساحته واسعة ودرجاته متعدّدة، الحديث عن أقسام العلم، ومكانته، وظروف التعليم خارج عن إطار هذه الدراسة فلذا نكتفي بإشارة عابرة الى أهمية العلم في التربية الإسلامية خلال النظر الى الآيات الأولى التي نزلت على النبي المزيّنة بالألفاظ الدالّة على التعلّم وهي «قراءة»، و«علم»، و«القلم»: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾[٤٨]، هنا يظهر على مدى عناية القرآن بالعلم. يتكوّن بناء تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من الاهتمام بالتعلّم وكذلك كتب التربية الإسلامية مشحونة بالحديث عن أهميّة التعلّم وفوائده منها: «إنّ العلم طريق الى الجنّة، وفضله عند الله عظيم. إنّ العلم حياة ونور والجهل موت وظلمة، وحاجة العباد الى العلم كحاجتهم الى المطر، بل أعظم، وإنّهم إذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث، والعلم من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد»[٤٩].

أمّا الدعوة الى العلم ونشره ذات صبغة أخرى في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام. جدير بنا أن نشير الى أنّ «من الخدمات الجليلة التي أسداها الإمام عليه السلام الى العالم الإسلامي هو تجديده وبعثه لجامعة أهل البيت على نطاق واسع لم يعهد له نظير في تلك العصور وكان مؤسسها الأول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. بعد أخذ الإمام الصادق عليه السلام زعامة الأمّة ومرجعيتها العامّة، قام عليها السلام بتفجير ينابيع العلم والحكمة في الأرض، وفتح للناس من العلوم لم يعهدوها من قبل، فملأ الدنيا بعلمه، ونقل الناس عنه العلوم. لقد علمت مدرسة الصادق على الانطلاق الفكري، ونشر الوعي العلمي، وجنّدت جمهرة كبيرة من العلماء للقيام بتثقيف المسلمين، وتهذيبهم، وتقديمهم في مختلف الميادين العلمية»[٥٠]. وكذلك لم تخل وصايا الإمام عليه السلام من الاهتمام بالتربية العلمية إذ نراه أوصى ابن النعمان وتبيّن له غاية العلم الحقيقية مخاطباً إيّاه: «يا ابنَ النُّعمانِ لا تَطلُبِ العلمَ لثَلاثٍ: لتُرائيَ بِهِ. ولَا لتُباهيَ بِهِ. ولَا لتُماريَ ولَا تَدَعهُ لثَلاثٍ: رَغبَةٍ في الجَهلِ. وزَهادَةٍ في العِلمِ. واستِحياءٍ مِنَ النّاسِ. والعِلمُ المَصونُ كالسِّراجِ المُطبِقِ

عَلَيه»[٥١]. كما نلاحظ ما جعل هذه الوصية مؤثرةً، استخدام الإمام عليه السلام، من المحسّنات، التشبيه البليغ إذ شبّه العلم المصون الحقيقي بسراجٍ لن ينطفئ ضوءه أبداً، ثمّ اعتماده على الإيقاع لزيادة التأثير وبقاء المطلب في ذهن السامع فنرى السجع المتوازي بين «ترائي» و«تباهي» و«تماري»، وهو أحسن حالة السجع. ومن الأساليب التربوية المستخدمة أسلوب التقسيم والترقيم أي إطار عددي لتلك الغايات تسهيلاً لحفظها.

ومن المفيد هنا أن نلخّص إتجاهات التربية العقلية في أربعة أقسام:

٣-٢-١- التعقّل في عواقب الأمور

شأن التفكير في دبر الأمور كشأن سائر العناصر التربوية في الإسلام. إنّ الحزم صادر عن المنطق وهو من أهمّ شرائط العزم فيدلّ على التربية العقلية. إنّ الله تعالى يؤكد على الحزم أشدّ التوكيد في الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[٥٢]. كذلك يدعو الإمام عليه السلام الى لزوم التأنّي في الأمور لدفع الندامة بتذكر البداية والخاتمة: «قف على كلِّ أمرٍ حتى تَعرِفَ مَدخَلَهُ من مَخرَجِه قَبلَ أن تَقَعَ فيه فَتَندمَ».[٥٣] وكذلك هذه الوصية الموجزة: «وَاعلَم أنَّ للأمورِ أواخِرَ فَاحذَرِ العَواقِبَ. وَأنَّ للأمورِ بَغَتاتٍ فَكُن على حَذَرٍ. وَإيّاكَ وَمُرتَقى جَبَلٍ سَهلٍ إذا كانَ المُنحَدَرُ وَعراً»[٥٤]، نرى أنّ الإمام عليه السلام ينبّه المخاطب بأواخر الأمور ثمّ يحذّره منها بصراحةٍ، كما يحذّره من الأمور التي تبدو سهلاً وخيراً ولكن وراءها الندامة والهلاك خلال استخدام التشبيه الضمني إذ يشبّهها بالجبل السهل الذي منحدره وعرٌ وبذلك رسم صورتها أمام المخاطب لتوكيد شدّة الأمر.

٣-٢-٢- مجالسة العلماء

تؤثّر مجالسة العلماء ومعاشرة الفضلاء على سلوك الفرد تأثيراً تجعله ينال المعارف العميقة ويصبح أحداً منهم. التردّد في حلقات المعرفة يربّي العقل ويوقظ الفرد ويجعله راغباً في إصلاح نفسه كما يمنحه رؤية جديدة يعرف بها حقيقة الحياة وغايتها العالية ويجعله ألّا يفتح لسانه إلّا بالحق. قال الإمام الصادق عليه السلام في حقيقة هذا الأمر موجزاً: «مَن دَخَلَ السُّفَهاءَ حُقِّرَ، وَمَن خالَطَ العُلَماءَ وُقِّر»[٥٥]. على ضوء هذا البيان الرائع كلّما جالس الإنسان العلماء أصبح موقّراً وكلّما جالس السفهاء ذُلّل غاية التذليل وذلك

حقيقةٌ ثابتةٌ تدلّ عليها الجملتين الاسميّتين. وجدير بالذكر أنّ هذا البيان الأخّاذ يتسرّب الى النفس لحلاوة الموسيقى وجريان التضاد الرائع فيها إذ نرى جعل الألفاظ المضادة في قالب أحسن أنواع السجع.

٣-٢-٣- المشورة

من أحد مناهج تربية العقل الذي يدافع الإنسان عن العثرة. الله تبارك وتعالى يعدّ إحدى خصال المؤمنين خصلة المشورة في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٥٦]، هذه الآية تعرض لنا التزام المؤمنين بالمشورة في كل الشؤون الهامّة طوال حياتهم لا في ظروف محدّدة لأنّ الإنسان لا يرى في أمرٍ إلّا أبعادا محدّدة فبالمشورة يساعده الآخرون على رؤية الأبعاد الأخرى ويبلغونه الى الرأي الأصحّ، كما يقول ابن مقفّع: «إنّ المستشير وإن كان أفضل من المستشار رأياً، فهو يزداد برأيه رأياً، كما تزداد النّارُ بالودك ضوءاً»[٥٧].

لقد أشار الإمام الصادق عليه السلام الى سمتي المستشار؛ السمة الأولى التي تجعل الإنسان أن يستشار، الصداقة والقول بالحق مهما يكون نافعاً للإنسان أم لا، إذ أوصى ابنه الإمام الكاظم عليه السلام: «يا بُنَيَّ قُلِ الحَقَّ لَك وَعَلَيك تُستَشارُ مِن بَينِ أقرانك»[٥٨]، والسمة الثانية الخشوع إذ أوصى سفيان الثوري: «شاوِر في أمرِك الّذينَ يَخشَونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ»[٥٩]، وذلك بالنسبة الى المستشار. ولكن من لا يشاور أحداً ويرى نفسه غنياً منهم ويعتمد على عقله في الأمور سيعثر ويندم دون ريبٍ، كما يدفن آراء الآخرين ويجفّ ينبوع التفكر والتعاون في المجتمع. هكذا فالإمام الصادق عليه السلام قد حذّر المؤمن بصراحة من الاعتماد برأيه وعدم المشورة في إحدى وصاياه: «إيّاك أن تَعمَلَ بِرَأيِك شَيئاً»[٦٠].

٣-٣- التربية الخلقية

الخلق لغةً «التقدير، والخلق بضمّ اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنّه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة»[٦١]. وقيل في مصطلح الخلق «عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة الى فكر ورؤية»[٦٢]،

فيصدر الأفعال المحمودة عن الخلق الحسن والأفعال المذمومة عن الخلق السيّء. قد نضج نظام التربية بعد ظهور الإسلام واحتلّت المكارم الخلقية في هذا النظام مكانة سامية فتعدّ هذه القيم من أهمّ مبادئ التربية الإسلامية. ومن أعلى مواصفات النبي صلى الله عليه وآله، كالأسوة الحسنة، تحليه بحسن الخلق إذ جاء في القرآن في نطاق الجملة الاسمية المؤكدة: «وَإِنَّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ»[٦٣]. على هذا الاعتبار إنّ مكارم الأخلاق لبنات أساسيةٌ في بناء شخصية الإنسان المتعالية والتربيةَ خطّةٌ لازدهار هذه المكارم. نظراً لهذه الأهميّة نرى معظم اهتمامات الإمام الصادق عليه السلام بالتربية الخلقية تتجلّى في تعاليمه كوصاياه إذ تُعدُّ التربية الخلقية أكثر المضامين استخداماً في وصاياه.

بما أنّ الإسلام وضع قواعد شاملة لمصلحة البشر، لا شك في أنّ للمكارم الخلقية آثاراً تربويةً بارزةً على مستوى حياة الفرد والمجتمع كما أنّ انحراف الأخلاق يفسد حياة الفرد ويسوق المجتمع الى الانهيار. «إنّ الفضائل الشخصية هي الفضائل التي تنظم حياة الفرد وتجعل ملكاته وقواه في حالة تعادل ورقي. وأمّا الفضائل الاجتماعية فهي الفضائل التي تجعل الإنسان في وفاق مع من حوله من الناس وترقي شؤونهم»[٦٤]؛ هكذا فمن المناسب أن نقسّم القيم الخلقية المتجلية في وصايا الإمام الصادق الى قسمين: القيم الخلقية الفردية و القيم الخلقية الاجتماعية، وجدير بالانتباه أنّ اندراج المكارم تحت هذين القسمين لا يقلّ من قيمة كلّ القسم ولا يعني إنكار الصلة المتبادلة بينهما، كما لا يعني رفضاً على قيمة التصنيفات الأخرى لمكارم الأخلاق.

٣-٣-١- الأخلاق الفردية

من الواضح أنّ تربية كلّ نفس خطوة نحو ارتقاء مستوى الحياة الاجتماعية وسلوكه يترك آثاراً في نفسه ثمّ في المجتمع. ندرج تحت هذا القسم القيم الخلقية التي تؤثّر على حياة الفرد فنجرّده عن المجتمع ونلقي الضوء عليه. تأخذ المكارم الخلقية الفردية معناها في دائرة نفس الإنسان وتبعث فيه الشعور بالعزّة والقيمة وتجعله أن ينطبق سلوكه بمبادئ الإلهية. «من خصائص المنهج التربوي عند الإمام اهتمامه للقيم الأخلاقية، وهيمنة هذه الأخلاق على كافة المجالات التربوية، ذلك أنّ تطور الإنسان في الميادين العلمية، والعقلية، والاقتصادية و... الخ من دون سيادة روح الأخلاق عليه، سيفضي الى طغيان الفرد وانحرافه وتمرّده»[٦٥].

٣-٣-١-١- الصبر والحلم

الصبر «مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات»[٦٦]. فهو حلية المؤمن و«مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين»[٦٧]. تعني التربية الإسلامية بهذا الخلق النبيل لآثارٍ سامية يتركها في نفس الإنسان. إنّ الصبر والشعور بالرضا في البلايا يمنح الإنسان ثبات النفس، والعزّة، والرؤية الواضحة وعلى رأس هذه المعطيات الهدوء والسكينة. الله تعالى يحثّ المؤمنين على التخلق بالصبر خلال تقديم الأسوة الحسنة فيه وشرح خاتمته الجميلة، كما يبشّرهم بإنتهاء العسر بأسلوب توكيدي في هذه الآية الشريفة: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ ﴾ [٦٨]. لقد استمدّ الإمام الصادق عليه السلام من هذه الآية في وصيته توكيداً وبرهاناً على حتمية حسن عاقبة الصبر ويعدّ الصبر والشكر متلازمين ويراهما خير زادٍ لمواجهة الشدائد، ورأى من لم يلتزم بهما عاجزاً واعتقد بأنّ الصعوبات لاختبار الصبر والشكر ليتميّز المؤمن عن غيره فانحصر الأزمات بالاختبار معتمداً على أسلوب الحصر: «قَد عَجَزَ مَن لَم يُعِدَّ لِكلِّ بَلاءٍ صَبراً وَلِكلِّ نِعمَةٍ شُكراً. وَلِكلِّ عُسرٍ يُسراً. صَبِّر نَفسَك عِندَ كلِّ بَلِيَّةٍ في وَلَدٍ أو مالٍ أو رَزِيَّةٍ، فَإِنَّما يَقبِضُ عارِيَتَهُ وَيَأخُذُ هِبَتَهُ لِيَبلُوَ فيهِما صَبرَك وَشُكرَك»[٦٩]. نرى في هذه الوصية حسن الإيقاع القائم على السجع المتوازي بين «شكر»، و«يسر»؛ وبين «بلية»، و«رزية»، والسجع المطرف بين «صَبر»، و«شكر»؛ وبين «عاريته» و«هبته».

من الأساليب التربوية الأخرى التي استخدمها الإمام في وصيته وضع القدوة. والقدوة «في التربية هي أفعل الوسائل جميعاً وأقربها الى النجاح»[٧٠]. قد جعل الإمام عليه السلام قدوة الصبر أمام المسلمين ليحقّقوه في أنفسهم في الظروف القاسية وليست هذه القدوة إلّا النبي صلى الله عليه وآله، الذي هو خير أسوة يجب اتّباعة، فيحثّهم على قياس ظروفهم بمصاعب واجهها رسول الله صلى الله عليه وآله طوال حياته لعلّهم يتّبعون سلوكه: «إذا أصَبتَ بِمُصيبَةٍ في نَفسِك أو مالِك أو وَلَدِك فَاذكر مَصائِبَك بِرَسولِ اللهِ فَإنَّ الخَلائِقَ لَم يُصابوا بِمِثلِه قَطُّ»[٧١].

وأمّا الحلم يدلّ على قوة شخصية المرء ويمنحه العزة، كما يؤثّر على الآخرين ويجذبهم إليه. الحليم «من لم يكن حلمه لفقد النصرة أو لعدم القدرة. وهو جوهر في

الإنسان، يصدر عن صدر سالم من الغوائل والأذى، صاف من شوائب الكدر، والقذي، لا يستطاع تعلماً، ولا يدرك تبصراً وتفهماً»[٧٢]. فإنّ الحلم زينة تصدر عن الوعي والقوة العقلية. لقد أشار الإمام الصادق عليه السلام الى أحد مظاهر الحلم وهو الصمت مستخدماً التشبيه البليغ لنقل المضمون فشبّه الحلم بزينة وحجاب في ظرفين مختلفين: «عَلَيك بِالصَّمت تُعَدُّ حَليماً، جاهلاً كنتَ أو عالماً، فَإنَّ الصَّمتَ زَينٌ لَك عِندَ العُلَماءِ وَسترٌ لَك عِندَ الجُهّال»[٧٣]، على رأي الإمام عليه السلام الصمت فضيلة لكل الناس سواء كانوا عالمين أوجاهلين بل إنّما الاختلاف في ظهور هذه الفضيلة.

٣-٣-١-٢- الخوف والرجاء

من الفضائل التي تميّز التربية الإسلامية عن غيرها وتجعلها في المستوى الأعلى فضيلة الخوف والرجاء، وهما منحصران في إطار تعاليم الإسلام، حيث جعلت غاية حياة الإنسان أعلى من الدنيا والماديات. الخوف من عذاب الله والرجاء برحمته يعتدلان حياة الإنسان ويمنعانها من الإفراط والتفريط فإنّ الرجاء والخوف «جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كسود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء مجفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف»[٧٤]. الخوف يمنع الإنسان من وقعه في فخّ المعاصي والرجاء يبشّره برحمة ربّه الشاملة. شأن الخوف والرجاء كشأن سائر التوجيهات التربوية عند الإمام الصادق عليه السلام فهو كان معنياً بهما في وصاياه كوصيته لابن جندب مؤكداً على أنّ الرجاء المحض يجعل الإنسان ينحرف عن مسيره فينجو من يعتدل في حياته بتخلّقه بالخوف والرجاء معاً وكأنّ قلبه في مخلب طائرٍ يشتاق تارةً ويخاف تارة أخرى. كما نرى أنّ الإمام عليه السلام أجاد انتقال المضمون باستخدام التشبيه إذ شبّه حال من يلتزم بالخوف والرجاء بحال من قلبه في مخلب طائرٍ: «لا يَنجو المُجتَرِئُ على الذُنوبِ الواثِقُ بِرَحمَةِ الله. قُلتُ ومَن يَنجو؟ قالَ: الذينَ هُم بَينَ الرَّجاءِ وَالخَوفِ، كأنَّ قُلوبَهُم في مِخلَبِ طائرٍ شَوقاً الى الثَّوابِ وَخَوفاً مِنَ العَذابِ»[٧٥]. وفي قطعة أخرى من هذه الوصية حذّر المؤمنين من الإفراط والتفريط في كلامٍ رائعٍ مسجع، ووضع حدّ الاعتدال بين الخوف والرجاء موصياً: «ارجِ اللهَ رَجاءً لا

يُجَرِّيك على مَعصيَتِه، وَخَفْهُ خَوفاً لا يُؤيِسُك مِن رَحمَتِه»[٧٦]، الإيقاع الجاري في السجع المطرف بين «معصيته» و«رحمته» منح الكلام حلاوة.

٣-٣-١-٣- القناعة

القناعة من الأخلاق الرفيعة التي توكد عليها الشريعة إذ ترتبط بهدوء الإنسان وكيفية معاشه. وهي ضبط النفس من طلب زيادة في المال وما يرتبط باللذات المادية. «القناعة ملكة في الإنسان تكسبه الرضا بالقليل، والاكتفاء بما يسدّ الحاجات تؤدي الى ظهور الاقتصاد في سلوكه فيكون بين القناعة والاقتصاد تضامن في العمل واتّحاد في الأثر»[٧٧]. فتبيّن من هذه التعريفات أنّ القناعة من سمات المؤمنين إذ أنّ الإسلام دين الاقتصاد حينما يحثّ الإنسان على انتفاع النعم والسعي للرزق، يمنعه من الناحية الأخرى عن الإسراف والحرص فيحثّه على التحلّي بالقناعة لبلوغه الى السعادة، وغنائه عن الخلق، والهدوء الذاتية وكسب العزّة والثقة بالنفس.

توقّف الإمام الصادق عليه السلام على القناعة في وصاياه المتعدّدة وحذّر المخاطب عن الطمع والنظر الى من فوقه مقتبساً الآية الكريمة التي يخاطب الله فيها رسوله: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[٧٨]، ومؤكداً على لزوم اكتفاء المخاطب على هذه الآية وجعل أمام المخاطب القدوة الأصيلة أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقارن عيشه بعيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتبعه: «إيّاك أن تَطمَعَ الى مَن فوقك، وكفى بما قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسوله: «وَلا تُعجبك أموالُهُم وَلا أولادُهُم» فَأن خِفتَ شَيئاً مِن ذلك فَاذكر عَيشَ رَسولِ اللهِ فَإنَّما كانَ قوتُهُ مِنَ الشَّعيرِ، وَحَلواؤُهُ مِنَ التَّمرِ وَوَقيدُهُ مِنَ السَّعفِ إذا وَجَدَهُ»[٧٩].

٣-٣-٢- الأخلاق الاجتماعية

الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن المجتمع بل حياته معقّدة بحياة الآخرين ويجري بينهما تبادلٌ في التأثير والتأثّر. إنّ الله تعالى وضع نظام التربية الإسلامية لتكوين الأمّة الرقية نحو اقتداء الأمم الأخرى بها. يشتمل هذا القسم من المكارم على القيم التي تأخذ معناها في دائرة علاقة الفرد بالمجتمع كحسن التعامل، الوفاء بالعهد، والتعاطف، ولها قيمة عالية في التراث الدينية فإذا نراجع وصايا الإمام الصادق عليه السلام

نجدها مشحونةً بهذه القيم وقائمةً على بثّ الشعور الاجتماعي في الناس لأنّه إذا قطعت أواصر الأخوة بين الأعضاء، بدأ المجتمع بالتلاشي والانهيار. يتشعّب مجال الأخلاق الاجتماعي في وصايا الإمام عليه السلام الى فروع منها:

٣-٣-٢-١- التعاطف وحسن الخلق

فطِر الإنسان على حبّ كلّ جميلٍ وبما أنّ المحبّة من أهمّ حاجاته النفسية من الطبيعي أن يجذبه الجمال الخلقي. يؤثّر حسن الخلق على قلوب الناس فيجذبهم وإن يكونوا قاسين فيهتمّ بها الإسلام ويركز عليها في نظام التربية الإسلامية كما يعتبره القرآن سبب وحدة الأمّة وتوثيق أواصر الأخوّة بين أفرادها إذ جاء بـ(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[٨٠]. ساحة فضيلة حسن الخلق والتآخي في وصايا الإمام الصادق عليه السلام وسيعةٌ ذات فروع متعددة وقد بادر الإمام عليه السلام بشرح بعض مظاهرها في أحد وصاياه لشيعته: «خالقوا النّاسَ بأحسَنِ أخلاقكم، صلّوا في مَساجدِهم، وعَوِّدوا مَرضاهُم، واَشهدوا جَنائزَهُم، وإن استَطَعتُم أن تَكونوا الأئمَّةَ والمُؤَذِّنينَ فَافعَلوا فَإنَّكم إذا فَعَلتُم ذلك قالَ النّاسُ: هؤلاءِ الفُلانيَّة، رَحِمَ اللهُ فُلاناً يُؤَدِّبُ أصحابَه»[٨١]. وجدير هنا ذكر إشارة الإمام عليه السلام الى حسن النية بالنسبة الى الأخ المؤمن في وصيته الى شيعته: «اوصيك بأن تَرضى لأخيك ما تَرضى لنَفسك»[٨٢]، وتوكيده على أهميّة قضاء حاجات الأخ المؤمن القائم على تشبيهه بالأمور الهامّة الدينية كالحج والجهاد لترغيب المخاطب في أداءه، في وصيته لابن جندب إذ قال: «يا ابنَ جُندَبٍ الماشي في حاجَةِ أخيه كالسّاعي بَينَ الصفَا والمَروَةِ، وقاضي حاجَتِه كالمُتَشَحِّطِ بدَمِه في سَبيلِ اللهِ يومَ بَدرٍ وأُحُدٍ»[٨٣].

٣-٣-٢-٢- حسن الجوار والصداقة

حسن الجوار من أهمّ محاور الأخلاق الاجتماعية القائم على التسامح والإكرام. الّذين يعيشون مجاورين في ذمّتهم حقوق عظيمة فيخصّ به الإسلام موقعاً خاصّاً في نظام التربية. لذا فقد اعتبر الإمام الصادق عليه السلام حسن الجوار شرط قبول الإسلام في وصيته لسفيان الثوري: «أحسِن مُجاوَرَةَ مَن جاوَرتَ تَكن مُسلماً»[٨٤].

أمّا الصداقة صورةٌ خاصةٌ من العلاقات الاجتماعية تقوم على المودّة والعلاقة الروحية فليست كالعلاقة بين العامة القائمة على المنفعة، بل لها أهميّة أكثر إذ يشارك الأصدقاء في حالات الحزن والفرح ويتعاونون بعضهم بعضاً في الشدائد وقد يصبحون

قدوةً للإنسان في أموره فلهم سهم كبير في تصرفاته إذ يمهّدون له طريق الرشد أو السقوط.

قد وضع الإمام الصادق عليه السلام شروط اختيار الصديق وأسس الصداقة في وصيته لابنه الإمام الكاظم عليه السلام إذ رسم صورة الصاحب الفاجر في تشبيه لطيف فشبّهه بالصخرة الصلبة والأرض اليابسة: «يا بُنَيَّ إذا زُرتَ فَزُرِ الأخيارَ وَلا تَزُرِ الفُجّارَ فَإنَّهُم صَخرَةٌ لا يَنفَجِرُ ماءُها وَشَجَرَةٌ لا يَخضَرُّ وَرَقُها، وَأرضٌ لا يَظهَرُ عُشبُها»[٨٥]، وحذّر ابنه من اختيارهم. الإيقاع الجاري في هذه الوصية يتجلى في السجع المطرف بين لفظي «الأخيار» و«الفجّار» المضادّين، وبين «ماءها» و«ورقها» و«عشبها». كما حذّر شيعته من مصاحبة صاحب السّوء والتردّد الى المجالس السّوء منعاً عن اتّهامه إذ قال: «مَن خالَطَ العُلَماءَ وُقِّرَ، وَمَن دَخَلَ مَداخِلَ السّوءِ اُتُّهِمَ»[٨٦].

٣-٣-٢-٣- العفو ومقابلة الإساءة بالإحسان

العفو من أعلى الفضائل الخلقية التي تحثّ عليه التربية الإسلامية. يؤكد الإسلام من ناحيةٍ على فضيلة العدالة وقد وضع المجازاة للتنبيه المجرم فيحذّر المؤمنين من الذنوب والجرائم ومن ناحيةٍ أخرى طرح شيمة العفو وجعله أعلى من الجزاء إذ تمنع بثّ بذر الحقد في قلب الإنسان وتبعث فيه الشعور بالقيمة الذاتية فضلاً عن تأثيره على المجتمع إذ يوفّر الأمن ويداوم المودّة.

بادر الإمام الصادق عليه السلام بالعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان في وصيته لابن جندب وأكد على أهميّته وشموليته بترسيم صورة شمسٍ تشرق على كلّ طبقات الناس خلال تشبيه ضمني لتأثير كلامه فضلاً عن جعله برهاناً عليه. فقد شبّه العافي بالشمس وشبّه العفو بإشراقها، كما تمثّل في قوله بالآية الكريمة (ادفَع بِالّتي هي أحسَن)﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[٨٧]، إذ قال: «يا ابن جُندَبٍ صِل مَن قَطَعَك. وَاعطِ مَن حَرَمَك. وَأحسِن الى مَن أساءَ إلَيك. وسَلِّم على مَن سَبَّك. وَأنصِف مَن خاصَمَك. وَاعفُ عَمَّن ظَلَمَك، كما أنَّك تُحِبُّ أن يُعفى عَنك، ألا تَرى أنَّ شَمسَهُ أشرَقَت على الأبرارِ وَالفُجّارِ. وَأنَّ مَطَرَهُ يَنزِلُ على الصّالِحينَ وَالخاطِئينَ»[٨٨]. هذا البيان مشحون بالإيقاع من نوع السجع كالسجع المطرف بين «حرمك» و«إليك»، و«سبّك»، و«خاصمك»، و«ظلمك»؛

والسجع المتوازي بين «قطعك» و«حرمك»، و«الصالحين» و«الخاطئين»؛ كما هو مشحون بحروف الاستعلاء والجمل القصيرة المبتدئة بفعل الأمر لإيحاء القاطعية في الكلام وأهميّة هذه الفضيلة.

٣-٣-٢-٤- أداء الأمانة

يتحقّق معنى الالتزام بفضيلة أداء الأمانة في ساحة العلاقات الاجتماعية ويفرضه الإسلام على المسلمين في الآية الكريمة ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[٨٩]. تبرز أهميّة التحلّي بهذه الفضيلة خلال تأثيرها على مستوى الحياة الاجتماعية، إذ نراه يوجب بثّ الشعور بالمسئولية ونشر المودّة وتوفير الأمن في المجتمع. جدير بالذكر أنّ الأمانة لا تنحصر في البعد المادّي وهو أول الأبعاد وأوضحها، بل يطلق على كلّ ما وهب الله الإنسان من الدين، والعلم، والعرض وكلّ ما يودعه من الأموال والأسّرار. أمّا الإمام الصادق عليه السلام فقد أوصى شيعته بأداء الأمانة الى صاحبه وعدّها من أهمّ خصال الشيعة: «اوصيك بِأداءِ الأمانَةِ الى مَنِ ائتَمَنَك»[٩٠] وكثيراًما أكد على الالتزام بها بجانب الالتزام بصدق الحديث إذ قال: «اوصيك بِتَقوى الله، وَصِدق الحَديثِ، وأداء الأمانة»[٩١]. كان الإمام عليه السلام يرى هذه الفضيلة دليل على كمال الإنسان ويحثّ المسلمين على أداء الأمانات الى صاحبها من أيّ قومٍ وبلدٍ لأنّ اختلاف الأصل والدين لا يمنع المسلم عن أداء الحقوق ويقول: «اتَّقوا اللهَ رَبَّكم، وَأدّوا الأمانَةَ الى الأبَيضِ وَالأسوَد، وَإن كانَ حَروريّاً، وَإن كانَ شاميّاً، وَإن كانَ عَدُوّاً»[٩٢].

٣-٣-٢-٥- الوفاء بالعهد والوعد

العهد أمانة والوفاء بالعهد ضرب من العدالة والمساواة، ويؤدي التحلّي بهذه القيمة دوره الفعّال في مسرح العلاقات الاجتماعية، وعدم الوفاء يساوي الظلم والتعدّي ويدلّ على ضعف الإرادة ووضاعة النفس. لذا فقد أوصى الإمام عليه السلام شيعته بـ«الوفاء بالوعد» بالجملة القصيرة المبتدئة بفعل النهي المؤكد بالنون الثقيلة وهذا دليل على شدّة أهميّته: «وَلا تَعِدَنَّ أخاك وعداً لَيسَ في يَدِك وَفاؤُه»[٩٣].

٣-٣-٢-٦- التواضع

التواضع سلّم نحو الرفعة ومصدره الإيمان والعقل وليس مخالفاً للثقة بالنفس. المتواضع يعرف قدرته وقيمة نفسه ولكن لا يباهي بها ولا يحقّر الآخرين بل يحترم الناس وحقوقهم. ويقابله التكبر وهو صادر عن الضعف والنقص إذ يستر المتكبر ضعفه خلف التكبر. يؤثّر التكبر على العلاقات الاجتماعية ويبثّ الضغن في صدور الناس ويوجب انزواء المتكبر ولكن التواضع يسع دائرة العلاقات الاجتماعية وهذه الحقيقة ثابتة عند جميع الناس.

قد حذّر الإمام الصادق عليه السلام المخاطب من الإعجاب بالنفس ويعدّ التواضع بجانب العبادة من أفضل الأعمال: «وَلا تَغتَرَّ بِقَولِ الجاهِلِ وَلا بِمَدحِهِ فَتُكبِّرَ وَتُجَبِّرَ وَتُعجِبَ بِعَمَلِك، فَإنَّ أفضَلَ العَمَلِ العِبادَةُ وَالتَّواضُعُ»[٩٤]، فساوى الاغترار بالمدح بالتكبّر والجبر والعجب.

٤-٣-٢-٧- تجنّب ما يكدّر التآخي والمودّة

من أهمّ ما يكدّر العلاقات الاجتماعية كشف عيوب الناس وهو من أقبح الرذائل وأخطر الأمراض النفسية ويعدّ مانعاً لكمال الشخص كما يدلّ على ضعف شخصيته وعدم ثقته بالنفس. من يكشف عيوب الناس يحاول ستر عيوب نفسه فلن يشعر بهدوء مادام يتخلق بهذا الخلق البغيض ويصبح منعزلاً عن النّاس وذلك خطرٌ عظيمٌ يهدّد المجتمع. كذلك هذا الأمر عظيمٌ في رأي الإمام الصادق عليه السلام إذ عني به في كثير من وصاياه منها وصيته لابنه الإمام الكاظم عليه السلام: «يا بُنَيَّ إيّاك أن تَزري بِالرِّجالِ فَيُزرى بِك»[٩٥]، و«إيّاك وَالتَّعَرُّض لِعُيوبِ النّاس فَمَنزِلَةُ المُعتَرِضِ لِعُيوبِ النّاسِ كمَنزِلَةِ الهَدَفِ»[٩٦]، كما نرى وقف الإمام أمام هذا الخلق المذموم موقف الخصومة بأسلوب التحذير ثمّ تابعه بإقامة البرهان عليه مذكراً عاقبتها.

ثمّ لقد أوصى الإمام عليه السلام بترك ما في دائرة الرذائل الخلقية الاجتماعية من الغشّ والخيانة في تعامل الناس فلا ينتهي ذلك إلّا الى انعدام الثقة بينهم. عبّر الإمام عليه السلام عن الغشّ باحتفار البئر وأشار الى عاقبته موصياً: «وَمَن احتَفَرَ لِأخيهِ بِئراً سُقِطَ فيها»[٩٧]، فقد استخدم الإمام عليه السلام الاستعارة المكنية في ترسيم صورة الخيانة فشبّهها بالبئر. وفي وصية

أخرى حذّر مخاطبه من الغشّ موضّحاً عاقبته: «وَمَن غَشَّ أخاهُ وَحَقَّرَهُ وَناواهُ جَعَلَ اللهُ النّارَ مَأواهُ»[٩٨].

الخطر الذي يهدّد العلاقات الاجتماعية رسوخ الحسد في دائرتها. يعدّ الحسد من أعظم الرذائل الخلقية وكشأن سائر الرذائل يعدّ مرضاً نفسياً وهو السبب لوقوع أولّ جريمة القتل على يد ابن آدم عليه السلام. وقف الإمام □ عند ذلك موصياً: «وَمَن حَسَدَ مُؤمِناً انماثَ الإيمانُ في قَلبِهِ كما يَنماثُ المِلحُ في الماءِ»[٩٩]، كما نرى عدّ الإمام عليه السلام الحسد سبب زوال الإيمان ورسم خطره بتشبيه تمثيل إذ شبّه حال إنماثه في القلب بإنماث الملح في الماء.

نتائج البحث

ظهر من خلال التطواف الذي قمنا به في وصايا الإمام الصادق للدلالة على المضامين التربوية عدة نتائج منها:

١. إنّ الوصية كأحد الطرق التعليمية ومعالم الثقافة الإسلامية تحتلّ حيزاً كبيراً من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام فقد زود الإمام عليه السلام وصاياه بتجاربه القيمة وحكمته الشاملة ولبسها ثياب التربية الإسلامية التي تنبع مضامينها من ينبوع القرآن والسنة النبوية، وجعلها منهجاً لإعادة الإنسان الى أصالته ولتثقيف المسلمين وأحياناً لتشكيل إنسانٍ جديدٍ. يمكن تصنيف المضامين التربوية في وصايا الإمام عليه السلام، على المنهج المقبولِ في أكثر الكتب التربوية، تحت ثلاثة أقسام أصلية. وجدير بالذكر أنّ التربية الخلقية أكثر هذه المضامين استخداماً في الوصايا.

٢. استخدم الإمام الصادق □كالمربّي العظيم الأساليب المتنوعة لتعليم المضامين التربوية فإذا نراجع الى وصاياه نجدها خالية عن تكرار الأساليب التعليمية وهذا ما يوجب التذاذ المخاطب؛ ولتعدُّدِ تلك الأساليب وتنوّعها علاقة إيجابية بحسن فهم المخاطب وسرعة انتقال المضمون. من أهمّ هذه الأساليب: «أسلوب التقسيم والترقيم» اللذان يثمران ترغيب المخاطب خلال تفصيل الأجزاء في نطاق عددي، و«أسلوب التحذير» الذي يثمر التنبيه والإرعاب، و«أسلوب تقديم القدوة» الذي يثمر المقارنة والاتباع، و«أسلوب التمثيل» الذي يثمر حسن الإلقاء القائم على البرهان لبعده عن الوجوه المألوفة، و«أسلوب القصة» الذي يثمر التأثير.

٣. قد لوّن الإمام الصادق عليه السلام وصاياه بلون المحسّنات الأدبية المؤثّرة على روعة الظاهر والمضمون. فنشاهد استخدام منهج «التقديم والتأخير» و«الحصر» للتوكيد على المضمون الخاص وانحصاره، و«الجمل الإسمية» لبيان ثبوت الحقائق، و«حروف الاستعلاء والاستفال» لعرض تفخيم الحقيقة ومرونتها، وكثيراً ما استخدم «التشبيهات» بأنواعها المختلفة كالبليغ، والتمثيل والضمني لاهتزاز العواطف وزيادة التأثير فضلاً عن تفهيم المضمون، و«الجمل القصيرة» للإيجاز وزيادة التأثير في النفس، و«الترادف والتضاد» للتوكيد. وأكثر هذه المحسنات الأدبية استخداماً «الاقتباس» والإيقاع القائم على «السجع» بمختلف ألوانها التي تمنح بيانه الجمال والتأثير.

Abstract

Advice or will is considered as the most significant literary skills and training methods; it is wisdom and experience treasure. Since, Pedagogy as the main map of human personality and a way toward a healthy society; it covers a vast domain of advice concept. Regarding its significance, religious heritage such as Mohammad Prophet and our Imams tradition (sonat) is not poor regarding such concepts. As an instance, Imam Jafar al Sadigh advices.

This paper studies pedagogic concepts based on Imam al Sadigh trainings and based on presenting some samples in " Prophet and Imams' Advices" by Seyed Hashem Rasouli Mahalati" in a analytic and descriptive method; its scope is divided into three distinct categories.

During the discussion, it is clear that Imam Al-Sadegh advices are derived from Quran and Prophet's words and they stand on pedagogic pivots. Imam defines these advices as ways of human's return to his own nature. Imam Sadegh as a great instructor of humanity makes benefit of various methods for teaching pedagogic concepts and Indeed, as a wise man who is a master of aesthetics gives brightness to his own words; he dies them in colors of literary meaning and beauty in order to help audience in enjoying and influencing others.

Key words : Imam Al-Sadigh , Advices and will , pedagogy , Training , Faith , Ethics

هوامش البحث

١. الراغب، د.ت، «ربب».

٢ . ابن منظور، ١٩٩٤م، «ربب».

٣ . مؤسسة البلاغ،١٩٩٧م، ١١.

٤ . الصيد الزنتاني، ١٩٩٣م، ٢٥.

٥ . النحل: ١٦: ٦٠.

٦ . الكيلاني، ١٩٨٨م، ٨٢.

٧ . الأحزاب: ٣٣: ٢١.

٨ . المجلسي،١٩٨٣م، ٣٦: ٦.

٩ . العذاري، دت، ٦٦.

١٠ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٦٨.

١١ . ابن فارس، ٢٠٠٢م، «وصي».

١٢ . ابن منظور، ١٩٩٤م، «وصي».

١٣ . ابن منقذ، ١٩٨٧م، ١.

١٤ . نايف الديلمي، ١٩٩١م، ١: ٢٠.

١٥ . المصدر نفسه، ٢: ١١.

١٦ . النساء: ٤: ١١.

١٧ . الأحقاف: ٤٦: ١٥.

١٨ . الأنعام: ٦: ١٥٢.

١٩ . مسلم بن الحجاج، ١٩٩١م، كتاب البر: رقم ٢٥٦٤.

٢٠ . القرضاوي،١٩٩٢م، ٢٣.

٢١ . ابن منظور، ١٩٩٤م، «عقد».

٢٢ . الإسراء: ١٧: ٨٤.

٢٣ . الحسيني، ١٩٨٣م، ٢٤.

٢٤ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥١.

٢٥ . المصدر نفسه، ٣٦٦.

٢٦ . المصدر السابق، ٣٤٧.

٢٧ . الأنفال: ٨: ٢.

٢٨ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٤١.

٢٩ . المصدر نفسه، ٣٤٥.

٣٠ . ابن منظور، ١٩٩٤م، «ع ب د».

٣١ . القرضاوي، ١٩٩٢م، ١٥.

٣٢ . محمّد قطب، دت، ٤٧.

٣٣ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٢.

٣٤ . الماوردى،٢٠٠٥م، ٦٣.

٣٥ . طه: ٢٠: ١٤.

٣٦ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٤٩.

٣٧ . آل عمران: ٣: ٧٧.

٣٨ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٠.

٣٩ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٣٦.

٤٠ . المصدر نفسه، ٣٣٣ .

٤١ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٥.

٤٢ . المصدر نفسه، ٣٣٨.

٤٣ . المصدر السابق، ٣٤٨.

٤٤ . محمّد قطب، دت، ٢٣٦ .

٤٥ . الماوردي، ١٤٢٦ه، ٩ .

٤٦ . الأنفال: ٨: ٢٢ .

٤٧ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٧.

٤٨ . علق: ٩٦: ١-٥.

٤٩ . الحازمي، ٢٠٠٠م، ٧٧.

٥٠ . القرشي، ١٩٩٢م، ١: ١٣١.

٥١ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٦٨.

٥٢ . الحشر: ٥٩: ١٨.

٥٣ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٣.

٥٤ . المصدر نفسه، ٣٤١.

٥٥ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٣٦.

٥٦ . الشورى: ٤٢: ٣٨.

٥٧ . ابن مقفّع، د.ت، ٥٣.

٥٨ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٣٦.

٥٩ . المصدر نفسه، ٣٦٩.

٦٠ . المصدر السابق، ٣٣٩.

٦١ . ابن منظور،١٩٩٤م، «خ ل ق».

٦٢ . الغزالي، دت، ٥٣.

٦٣ . القلم: ٦٨: ٤.

٦٤ . أمين، ١٩٦٩، ١٩٨.

٦٥ . ديالمه، ٢٠١٠م: ٤١٢.

٦٦ . ابن مسكـويه، دت، ٤١.

٦٧ . الغزالي، دت، ٦٢.

٦٨ . الانشراح: ٩٤: ٥.

٦٩ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٢.

٧٠ . محمّد قطب، دت، ٢٢١.

٧١ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٣٢.

٧٢ . النويري، د.ت، ٦: ٤٨.

٧٣ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٤.

٧٤ . الغزالي، دت، ١٤٢.

٧٥ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٤٨.

٧٦ . المصدر نفسه، ٣٥٢.

٧٧ . زين الدين، ١٤٠٣ه، ٨٦.

٧٨ . التوبة: ٩: ٥٥ .

٧٩ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٣١.

٨٠ . الحجرات: ٤٩: ١٠.

٨١ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٤٣.

٨٢ . المصدر نفسه، ٣٤١

٨٣ . المصدر السابق، ٣٤٩.

٨٤ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٦٩.

٨٥ . المصدر نفسه، ٣٣٧.

٨٦ . المصدر السابق، ٣٣٥.

٨٧ . الفصلت: ٤١: ٣٤.

٨٨ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٥٥.

٨٩ . النساء: ٤: ٥٨.

٩٠ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٤١.

٩١ . المصدر نفسه، ٣٣٢.

٩٢ . المصدر السابق، ٣٤٢.

٩٣ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٤١.

٩٤ . المصدر نفسه، ٣٥٢.

٩٥ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٣٦.

٩٦ . المصدر نفسه، ٣٣٦.

٩٧ . المصدر السابق، ٣٣٦.

٩٨ . رسولي محلاتي، ١٣٧٦ش، ٣٤٩.

٩٩ . المصدر نفسه، ٣٤٩.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (٢٠٠٢م). معجم مقاييس اللغة. التحقيق والضبط: عبد السَّلام محمّد هارون (ج٦). دمشق: طبعة اتحاد الكتاب العرب.
- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب الرازي (دت). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- ابن المقفّع، عبد الله بن دادويه (دت). الأدب الصغير والأدب الكبير. بيروت: دار صادر.
- ابن منظور، جمال الدين (١٩٩٤م). لسان العرب. (ط٣). بيروت: دار التّراث العربي.
- ابن منقذ، أسامة بن مرشد (١٩٨٧م). لباب الآداب. تحقيق: أحمد محمّد شاكر. قاهرة: مكتبة السنة.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (١٩٩١م).صحيح مسلم. تحقيق وتصحيح: محمّد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أمين، أحمد (١٩٦٩م). الأخلاق. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الحازمي، خالد بن حامد (٢٠٠٠م). أصول التربية الإسلامية. الرياض: دارعالم الكتب.
- الحسيني، السيد علي فضل الله (١٩٨٣م). الأخلاق الإسلامية. (ط٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ديالمه، حسناء (٢٠١٠م). الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام). بيروت: المكتبة العصرية.

- الراغب الأصفهاني، حسين بن محمّد (دت). معجم مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: نديم مرعشلي. بيروت: دار الفكر.
- رسولی محلاتی، هاشم (١٣٧٦ ش). وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام). تهران: نشر الثقافة الإسلامية.
- زين الدّين، محمّد أمين (١٤٠٣ه). الأخلاق عند الإمام الصادق (عليه السلام). منظمة الإعلام الإسلامي.
- الصيد الزنتاني، عبد الحميد (١٩٩٣م). أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. (ط٢). تونس: الدار العربية للكتاب.
- العذاري، السيّد شهاب الدين (دت). ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام). قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مركز الرسالة.
- الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد (دت). احياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة.
- القرشي، الشيخ باقر الشريف (١٩٩٢م). حياة الإمام الصادق (عليه السلام) دراسة وتحليل. بيروت: دار الأضواء.
- القرضاوي، يوسف (١٩٩٢م). التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنّا. (ط٣). القاهرة: مكتبة وهبة.
- الكيلاني، ماجد عرسان (١٩٨٨م). أهداف التربية الإسلامية. (ط٢). المدينة المنورة: مكتبة دار التراث.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب البصري (١٤٢٦ه). أدب الدنيا والدين. إشراف: مكتب البحوث والدّراسات. بيروت: دار الفكر.
- مجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١٩٨٣م). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام). (ط٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- محمّد قطب (دت). منهج التربية الإسلامية. (ط٢). القاهرة: دار القلم.
- مؤسسة البلاغ (١٩٩٧م). المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام. طهران: مؤسسة البلاغ.

- نايف الديلمي، محمّد (١٩٩١م). جمهرة وصايا العرب. بيروت: دار النضال.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (دت). نهاية الأرب في فنون الأدب. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.